

المركز أو التواتر الموجبة المكونة من جواهر الهليوم فكبيرة. وفي بعض الاحوال يعبر التوازن بين الكهارب السالبة وجواهر الهليوم (التواتر) المرجحة غير مستقر فينقسم الجوهري ويظهر منه جوهري هليوم مصحوباً بكهرين او ثلاثة كهارب وينشأ عن ذلك الظواهر الاشعاعية السابقة الوصف. هذا هو مجمل نظرية الكهارب ولا يصح ان نذهب بعيداً مع الخيال والتخمين لان المشاهدات العملية التي بين ايدينا في الوقت الحاضر لا تسمح باكثر من ذلك

حبيب اسكندر

مدرس الكيمياء والطبيعة في الجامعة الامريكية بالقاهرة

الغريزة والتنازع

شيء عن علم النفس

اذا درسنا الحياة بمظاهرها وارادنا ان نحللها التحليل الدقيق وجدنا ان التحليل يوصلنا الى مبادئها ودقائقها البسيطة. واذا تصفحنا المظاهر الحيوية بعد درس علم الحياة وجدنا انها تنتهي الى ثلاثة عوامل واصول ابتدائية لا يمكننا ان نتعدها او تفصلها وهي المادة والقوة والعقل او النفس. ولقد كان الاهتمام في الماضي منحصرأ في تحليل جميع المظاهر الحيوية وردها الى اصول طبيعية وكبائية ولكن ادخل العقل الآن ضمن دائرة البحث وانتهينا من دور المادية

ولا نخطئ اذا شبهنا العقل بالبحر وما يحصل لسطح مائه من التغيير المستمر بواسطة تأثير خارجي كالقمر وغيره وبواسطة ما تحت سطحه ايضاً من المؤثرات كالتيارات والصخور. فكذلك ظاهر العقل وهو الادراك او البصيرة فانه دائماً في تغيير وتعديل بالمؤثرات الخارجة وبالعوامل الكامنة في باطنه وهي ما فوق الادراك او هي مما لا نشعر به

هذا وعلم النفس هو درس العوامل التي تؤثر في الادراك وتعمل فيه وهو الدرس العملي المرتبط بالسلوك. وجميع مظاهر الحياة عبارة عن التعبير عن اميال مخصوصة للعمل وتعديل هذه الاميال في الاتجاه المناسب لها بواسطة المؤثرات الخارجية وهذه الاميال ظاهرة في جميع العالم الحيواني ويعبر عنها بالفرائز ولذا

عكسنا تحليل الاشكال التي يتجه اليها علم الحياة وانفعل الحيوي الى اصولها وهي
الغرائز. واذا درسنا سلوك الحيوان نجد ان الغرائز المبدئية يمكن درسها حسب
شكلها الاول اما في الانسان فان الغرائز ولو انها متائلة في الجوهر والاساس الا
انها تتغير مع الزمن الى حالات صعبة دقيقة مختلفة. وعلى هذه الغرائز الابتدائية
يتوقف الظاهر شكل يتخذه الانسان في حياته واصماله فهي اذ ذاك العامل الاساسي
والقوة الفعالة فيها. وهي لا تتغير فقط مع الزمن بل تتحد باشكالها المختلفة وتظهر
بشكل ارقى في السلوك وتبني مع تأثيرات الطبع الخلق الانساني

وقد كان لبحث ماكدوجال اليد الطولى في ترتيب الاميال الغريزية ترتيباً
كاملاً صحيحاً فهو يمحصر السلوك في ثمانى غرائز اولية او عشر وعلى ظني ان هذه
الجواهر الذاتية ولو امكن تمييزها ووصفها الا ان ظهورها في ميدان النشوء
والارتقاء لم يكن سريعاً بل بدأت باشكال وحالات صغيرة ثم تدرجت بحسب
نموس النشوء

واول قوة غريزية مهمة هي بلا شك قوة التناسل او غريزة حفظ الجنس. فانا
نعلم ان المؤثر الحيوي الذي نبى عليه عمران العالم هو ضرورة بقاء النوع وكل
شيء في الحياة يعمل لخدمة هذا المؤثر الحيوي والقوة الموحدة وبدون العمل
على بقاء النوع يقضى على الحياة الدنيوية بالتلاشي. ولقد قامت ضجة عظيمة في
وجه فرود (Freud) وتلاميذه لعلومهم في اهمية غريزة حفظ الجنس وفي
تأثيرها في مظاهر الحياة العادية وغير العادية الا ان المقرر ان مبادئهم وتعاليمهم
لا تخلو من الصدق. هذا ومظاهر قوة التناسل وغريزة الجنس معروفة وهي العامل
الحيوي والمؤثر الكامن الذي يوجد الميل للتخصص في الشعر او الفن او الصناعة.
ويرجع الى تأثير هذه المظاهر بعض ما نراه من الامراض العصبية ولو ان فرود
متغال في تقدير هذا التأثير

والغريزة الثانية ذات الاهمية الحيوية هي غريزة الغذاء ولا بأس من ايراد
هذه النقطة وهي اننا نميل الى الطعام لاننا نجبه لانه يفيدنا مع ان من الطعام
والشراب ما يفيد ولا يلد والسم قد يكون في الدسم. ومثل ذلك جميع باقي
الغرائز فانها ثابتة في طبيعة الشخص لباعث الحب الكامن لها اما فائدتها والقرض
الذي وجدت له قائمها يظهران بعد تشغيل العقل في معرفة كنهها

والغريزة الثالثة في الاهمية هي غريزة حفظ النفس والدفاع وهي الباعث الذي يتهنا على الهرب من الخطر ويحتميه ويدخل تحتها حامل الخوف . ولولا هذه الغريزة فينا لكانت حياتنا تحت الخطر من بدتها . وللخوف علامات ومظاهر وللهرب وسائل وطرق يستنبطها العقل وقت الوقوع في الشدة وعلى سرعة استنابها وضبطها تتوقف النجاة . ومن علامات الخوف الرعدة والتهيج العصبي والمضلي واصفرار الوجه اثر انقباض الاوعية السطحية وسرعة ضربات القلب والميل الى التبول ونضوب اللعاب واتساع حدقة العين . وكل هذه العلامات تنبه الشخص الى التعلق باذيال الهرب . ومن البسيهي انه تحت تأثير هذا الرعب تظهر قوة الدفاع باشكال غريبة ووسائل متنوعة فيعمل ما يمدد مستجلاً للنجاة . ومن امثلة التأثير من حرج الموقف وصعوبته ما نراه من تهيج بعض الخطباء والشعراء والمثليين ذلك التهيج العصبي الذي قد ينتهي بالبكاء . وقد يكون هذا الخوف حقيقياً ولسب جوهرى وقد يكون من ضعف نفس او جهل كمن يخشى رأسه تحت غطاءه في الفراش عند الشعور بلص او عند سماع رعد السحاب او كالجندي الذي يخشى في خندق مظلم عند اغارة طيارة على جيشه ظاناً ان عدم رؤية الطيارة يعد ضررها عنه

فهذه الفرائز الثلاث التناسلية والغذائية والدفاعية هي اهم الفرائز الاولى التي تنمو في الانسان ولها النصيب الاكبر في تقرير مصيرنا وفي اتجاه افكارنا واعمالنا . وهناك فرائز اخرى تكمن بعميقها . ولو انها ناشئة من هذه الثلاث وعليها يتوقف ايضاً تقرير السلوك في هذه الحياة . فنها غريزة حب الظهور والشهرة وحب النفس وغريزة احتقار النفس والدناءة . وهاتان الغريزتان تظهران في الحيوانات الراقية وهما متناقضان فالغريزة الاولى الشريفة قد ترى في الحيوان الاصيل التي تحوز قصب السبق وتظهر في الانسان عند التنافس في الحياة فتظهر في ذي المطامع ولحب النجاح الذي يحوز التدح المعلى ويرقع شرف عائلته وقبيلته

وقد نجد لبعض غريزة خاصة وهي غريزة حب الاطلاع والتعجب لكل شيء جديد لاسيما متى كان غير عادي او ظهر بشكل يعجب ولا يخيف . وكل منا رأى حركات كلب صغير عند رؤيته خنقة او زنبوراً فانه يتقدم اليه لاجباً

ثم ينكس عنه خائفاً فيكون قد جمع بين غريزتي التمتع والخوف . وغريزة حب الاطلاع هذه موجودة في من وقفوا حياتهم على الابحاث العلمية والتنقيب عن الآثار ومواجهة مصاعب الموت في الوصول الى احد قطبي الارض . والتمتع في الابحاث الدينية . تتبدى عادة تحت تأثير غريزة حب البحث وتنتهي بالمتعج والاستغراب . ومن الغرائز الحيوية ذات الشكل المتباين التي قد تكون شائعة في الانسان بشكل اوضح من باقي الغرائز غريزة حب الانتقام وهي تظهر في الحيوان عند الاحتكاك بغريزة الجنس فترى مدانعة الحيوان عن جنسه قوية وقد ترى في الحيوان ضعف شجاعة نادرة للمحافظة على انشاء وصغارهم وترى جنوا الام متحصن في الدجاجة حينما تجمع اولادها تحت جناحها لحفظها وتدفئتها والدفاع عنها ومن ارقى الغرائز اجتماعياً غريزة المحبة العائلية وارتباط الدم المتين وكلما ارتقى الحيوان في درجة النشوء ازدادت هذه العاطفة ويسري مع هذه الغريزة ارقى عاطفة عرفت في البشر وهي عاطفة المحبة ومنها تتدفق مياه الاعمال الخيرية وتتجسم طائفة الشفقة وعليها عمران العائلة واصلاح الامم وترقية العامة والمزاولة في الحروب وانجاد المريض والمهلوك . وما من عمل طيب يأمر به الدين الا وترى للعبة اليد الطولى في بنائه . وتوارى المصلحين في العالم ترى ان انس نهضتهم كان حبهم لبلادهم وعشيرتهم

ومن الاميال الغريزية غريزة جمع المال وعبادة المال وهي غريزة تشير الهمم في الحياة الاجتماعية ولكننا نعلم ان المال مسود قاس وسيد ضار وما من حرب ظهرت بين الامم الا ورتى للمالين والمملوئين اليد الطولى في اثارها . وحب الادخار والاقتصاد لا يظهر فقط في الانسان بل يتعدى الى الحيوانات والجملة مثال حسن لذلك

ومن الغرائز غريزة الانشاء والتشييد فترى البعوض يبنى بالمرشد . ومن الامثال الحاجة تفتق الحيلة وهي ام الاختراع . ولكل حيوان حاجات مخصوصة وأميال مخصوصة عليها عليه غريزته والامثلة على ذلك كثيرة والمثل القائل « ان الطيور على اشكالها تتع » هو المثل اللغظي لواسطة من وسائل السران والاجتماع اذ اجتماع فصائل الحيوان يند أزرها وما قطع الغنم الاتحاد بين أفرادها ينتج

قوة كالجيش . والبربان قبائل وكل قبيلة قوة ضد الاخرى . وكلما ازداد الاتحاد بين أهل بلد وكثر تبادل المنفعة بينهم عظم اتحادهم وكبرت بلدتهم وازدادت عمراناً وهتأ وعلى اساسه بنيت روما

هذا والمرء في هذا العالم عبارة من مجموع من الظواهر معبرة عن أمياله الغريزية فان وجد الشخص بمفرده استطاع ان يعمل على مقتضى أمياله وينال كل ما يصبو اليه ولكن باجتماعه مع غيره في المدن وكل منهم له هذه الاميال يضطر الى تكييف امياله بحسب الوسط الذي يحيط به . ومن الخطأ البظن ان كل الناس ينالون بحسب غرائزهم اذ لو كان ذلك كذلك لاستطاع كل شخص ان يكون ملكاً او وزيراً او حكياً وهذا يمنع تسمير البلدان فيحصل الاحتكاك الاميال التنازع بين الافراد لان في كل بلدة الرفيع والوسيع والجاهل والعالم والغني والفقير وهذا التنازع في بدء العمل الحيري أوجد الاختلاف في النشاط والقوة وأريج فوجدت الدرجات المختلفة من الناس ووجود هذه الدرجات عمر البلدان فوجد الصانع والعامل والحاكم والطبيب والجندي والزارع الخ وحصل تبادل المنفعة بينهم بمعنى الصحيح فاشتغل كل شخص لمنفعة المجموع ولذا سار حسب آداب الاجتماع ونظام العمران

وترى مما تقدم ان اخلاق الشخص يمكن تحليلها وارجاعها الى هذه الغرائز فترى اصال البشر عبارة عن اختلاط في الطباع أي مجموع قوى غريزية تعمل لأغراض متباينة ولجهات مختلفة فترى حب الرجل لزوجته مبياً ليس فقط على الميل الجنسي لها بل على الاتحاد المقدس والرابطة المتينة الدالة على نمو الشعور . فهذا مثل من اتحاد الغرائز لتكوين الطبع الرافي اما ان اختلفت الغرائز والاميال فالحالة تكون على عكس ذلك اذ يحصل التنازع بينها وعلى نتيجة هذا التنازع تتوقف حالة الشخص العقلية فان اتمى الى نتيجة مرضية حصلت حاله وعدة سعيداً وان كانت غير مرضية حصل اضطراب في ضميره وان ازداد هذا الاضطراب اتمى الامر الى الجنون . خذ مثلاً لذلك الجندي فان خوفه على حياته يحثه على الهرب ولكن رابطته مع باقي الجيش تجبره على البقاء مع المجموع ولذا ينحصر تعليم الجنود في تربية ملكة حب النضال مع العدو وكسره وفي التقلب على ملكات

الضعف والجبن والهرب فيه . وعلى العموم يعترض للانسان في معترك الحياة ظاملا الخوف وانظر المحقق به فتتقص القوة المنتوية فيه ومتى اتوت في العقل عوامل الضعف المختلفة المحددة به فانه يحار في الامر لانه لا يجد امامه الا الحرب فيصم نفسه بهذا العار

ومن الامثلة ايضا التنازع بين غرائز الام وطفلها فالخوف القلبي المتسكن في قواد الام يجعلها تحمي طفلها في مهده حينما ينمو وترعرع يسمى في ان يترك حضن امه كي يقابل العالم بصدور ويظهر شخصيته ويدافع عن استقلاله فان كان حضن الام زائدا عن الحد اللازم ووجد من نفسه ضعفا بلا مساعدة امه فقد فقد معالم الرجولية وطاش حياته متوكلا مختنقا . ولذا قلنا نرى من فقد اباه وتربى في حضن امه شجاعا او رجلا كاملا بل نراه عنوان العجل والجبن وفاقد الثقة التامة من نفسه وادابته . اما اذا كان الطفل ذا شجاعة فطرية ونزع بمد كبره ثوب الجبن والضعف الذي اوجده حضن امه و اراد ان ينزع تأثير امه عليه فان ميله لها قد يضعف ايضا او قد يكرهها كرها عظيما وبهذا تصرف بعض احوال سوء التقايم والضعف التي قد تحصل بين الابناء والديه . اما اذا وجد الشخص نفسه في زمن صعب وحياته في ارتباك مالي او حيوي عظيم وكان تأثير تدليل امه اياه ظاهرا عليه فانه يقع في شرك الارتباك العقلي

ويقال اجمالا ان اقوى الغرائز تأثيراً غريزة الجنس التي تولد الميل بين الرجل وزوجته وبتحكيمها يمكن اصلاح المجموع البشري . واول حجر لبنائها هو الزواج فهو يحفظ الشخص من ان يتبع غريزته الجنسية بوسائل غير اديية . وان قل الزواج في امة وادار شبابها وجوههم شطر الفسق ارضاء لشهواتهم فان بيان الامة لا يلبث ان يتدهى والامة الرومانية اقوى شاهد على صحة هذا القول فما تقدم نرى ان درس الاميال الغريزية وما يتبعها من المنازعات والتأثيرات هو الطريقة المثلى لفهم فصول رواية الحياة ولا بد من الرجوع الى علم النفس في حل مسائل الحياة الانسانية على عمر الاجيال والعصور

الدكتور سمعان نجار

طبيب مستشفى العريش